الموسيقار : محمد عبد الوهاب

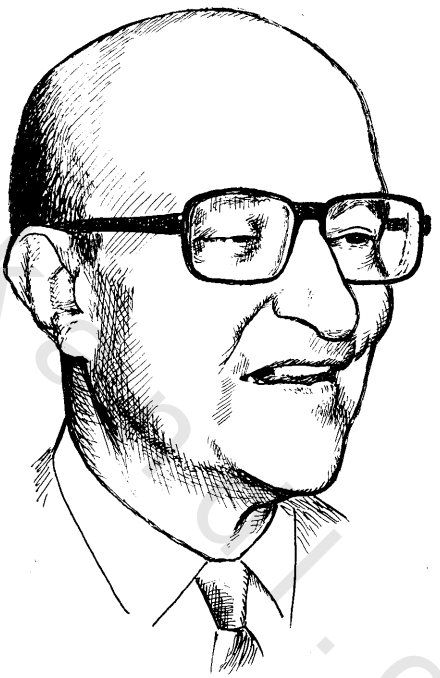

فنان .. لكل العصور !

تاريخ التسجيل ١٩٨٩

obeikandl.com

- من الحمار إلى القمر الصناعى .
- التلوث الصوتى .
- لا تمنعوا الأغانى الشبابية .
- لولاكى .. فى أذنى ..
- من غير ليه .. فى وجه الطوفان .
- حذاء المطربة .
- إعادة تقييم سيد درويش .
- الملحن العبقرى !

obeikandl.com

حينما أتحدث مع الموسيقار محمد عبد الوهاب فإننى أثق أننى سأحظى بأعلى كثافة استماع أتيحت لبرنامج فى الراديو . . فهو ذلك النغم المصرى العظيم الذى تهفو إليه القلوب مع الأسماع . . ويسرى فى عروقنا منذ الصبا ، مشاركاً فى صياغة وجدان أمة بأسرها . ولست أحتاج لتقديم مسهب . . فهو عبد الوهاب . . وكفى !

بدأ الحوار هادئاً . . وعبد الوهاب يترنم بكلماته وكأنه يغنى . . إنه يدندن كل لفظ ، ويسمح لكل حرف أن يمتد ويأخذ حيزه وحقه . . ويقول :

هذا عصر معقد غاية التعقيد . . وحينما أمد بصرى وذاكرتى لبدايات القرن ، أكاد لا أصدق أننى رأيت ما رأيت ، وأن كل ما شاهدته قد وقع فعلاً . . فما أبعد البون بين البدايات وبين ما نحن فيه الآن . . لقد تعقدت الحياة . . وقفز العلم والتكنولوجيا ليغير خريطة العالم ، ويختصر المسافات والأزمنة . . كنت أسافر لأغنى فى الأفراح متنقلاً على حمار بين

قرى مصر . . وقد اشتهرتُ « بِوَسْوَسَتِى » الشديدة من ركوب الطائرات . . فما بالك الآن بالصواريخ التى تحمل الأقمار الصناعية لتضعها فى مداراتها ليتمكن مشاهد من مصر أو زامبيا أو الهند من مشاهدة مباراة فى ميلانو أو مدريد على الهواء ؟! وما بالك بسفن الفضاء التى تعبر من كوكب إلى كوكب ثم تعود إلى الأرض ؟ أشياء مذهلة واكتشافات واختراعات . . عقول الكترونية . . إنسان آلى . . هندسة وراثية . . تحكم الإنسان فى كل شىء . . حتى بالنسبة للموسيقى والغناء . . نلاحظ قدر التقدم الهائل فى التكنولوجيا الصوتية . . شىء مذهل . . ولكن . . !

لهذا التقدم جانبه السلبى أيضاً . . فنلاحظ ازدياد عزلة إنسان العصر وعزوفه عن المشاركة . . نتيجة لانتهاء عصر الحياة المستقرة والبيوتات الكبيرة ، وسعى الناس لسكنى المدن الكبيرة . . وبيوتها وعماراتها الضخمة التى تشبه علب الكبريت القائمة على سيفها ! كل إنسان مهموم بنفسه مشغول بها ، لا يفكر فى جيرانه . . بل لا يفكر فى بقية أفراد أسرته . . . زحام على كل شىء وتسابق وراء كل لقمة وكل شقة وكل مواصلة ! تفككت الأسرة الكبيرة وانقطع التواصل بين الأجيال . .

انتشر التلوث الذى هو نتاج هذا التقدم أيضاً . . تلوث فى الهواء وفى الماء . . والنبات . . والأنهار . . والمحيطات . . ولا ننسى هنا انفجار المفاعل النووى فى تشرنوبيل ـ بل امتد التلوث إلى آذاننا ، وهو التلوث الصوتى !

●●● التلوث الصوتى :

● **لعل الموسيقار عبد الوهاب يقصد ما انتشر مؤخراً من أغنيات هابطة وما تسمى الأغنيات الشبابية ؟**

ـ إننى بالفعل أقصد أن موجة الغناء الحديث تركز على عنصر الإيقاع لمخاطبة الجسد بدلاً من الروح . . أين منى الآن مقطوعة موسيقية حالمة . . أو أغنية رقيقة تخاطب وجدانى ؟ لا أحد إلا نادراً . . فالمنتشر الآن أغنيات سريعة الإيقاع لا معنى فيها ولا لها . . لدرجة أن لو واحد صاحبك قابلك يقول لك سمعت آخر غنوة ؟ وكأنه يقول لك : سمعت آخر نكتة ؟! فهى قد أصبحت نكتاً غنائية . . وأنا أرفض أن أسميها أغانى شبابية . . فليست هناك أغان للشباب وأغان طفولية وأغان شيوخية ! المفروض أن الأغنية الجيدة ترضى جميع الأذواق ويغنيها الجميع . . وما ألاحظه أن هذه الأغنيات تخاطب الغرائز . . وتتكلم إلى الساقين فيسرعا إلى الرقص على الإيقاع . . والتقدم الذى حدث فى التكنولوجيا الصوتية أثر على عنصر الإبداع والمشاركة الوجدانية بين المؤلف والملحن والمطرب والفرقة الموسيقية . . فنظام « التراكات » أو القنوات المتعددة للتسجيل فصل بين أعضاء الفريق . . كما ألغيت البروفات ، ولذلك كله أثره على ما نسمعه من أغنيات . .

●●● لا تمنعوها :

● **هل ترمى من وراء هذا الهجوم إلى منع إذاعة هذه الأغنيات ؟**

ـ لا . . أنا ضد المنع . . بل إنى أدعو الإذاعة والتليفزيون إلى إذاعة هذه الأغنيات ولكن . . بقدر . . بنسبة معينة . . بحيث توضع فى حجمها . . فلا نظلمها بمنعها . . ولا نعطيها مساحة أكبر من حجمها . .

●●● دور الدولة :

ـ وهنا أحب أن أذكّر الدولة بدورها الأصيل فى حماية وتقديم الفن الجاد البنّاء ودعم رسالته . . لقد أدى التقدم فى التكنولوجيا الصوتية إلى تسهيل عملية الغناء والتلحين لأنصاف الموهوبين . . كما ساعد على الانتشار الرهيب لشرائط الكاسيت . . ومطلوب من الدولة أن تواجه ذلك كله بحماية الفن الراقى ودعمه . . وإفراد مساحات إرسالها له . . والإنفاق عليه . . وتلميعه . . ليتوازن مع ما ينشره الكاسيت . . هذه رسالة أجهزة الإعلام والثقافة فى بلدنا ويجب ألا تغفل عنها .

●●● لولاكى :

● **هل سمعت أغنية « لولاكى » ؟**

ـ نعم سمعتها منذ أيام قليلة . .

● **وما رأيك فيها وتقييمك لها ؟**

ـ ينطبق عليها ما ذكرته لك الآن عن هذه الموجة . . إننى حاولت أن أبحث عن مؤدى الأغنية فلم أتبين صوته ، لأنه ضائع بين الإيقاعات الصاخبة . . وللأسف أنك يمكنك أن تبدل مطرباً أو مؤدياً آخر مكانه

فى هذه الأغنية ولا تحس بفرق . . وهذا أمر خطير . . معناه . . أنه لاتوجد شخصية غنائية . . أو وجهة نظر . . رؤية . . يقدمها نوع أداء معين يختلف عن أداء آخر . . لقد أعادت المطربة نجاة غناء « يا مسافر وحدك» و « محلاها عيشة الفلاح » و « مكانش ع البال » وهى من أغنياتى القديمة . . أعادت غناءها بصوتها بتسجيل حديث وفرقة موسيقية مختلفة . . وهذا هو ما أقصده . . لقد كانت نجاة مختلفة عن عبد الوهاب . . طريقة أدائها كانت عبارة عن وجهة نظر . . يعنى تقول المفروض أن أغنى هذه الأغنية بالطريقة الفولانية . . هذه وجهة نظر تؤكد الشخصية الغنائية . . . ولكن فى موجة الأغانى الحديثة . . لو شلت المطرب ووضعت بدلاً منه مطرباً آخر أو حتى أى مواطن من الشارع لا تجد فرقاً . . !! وبذلك انعدم السباق الفنى والمنافسة الإبداعية وأصبح السباق على عدد الأغانى وقدر الثروة والسيارات والبـدل !

●●● من غيـر ليـه ! :

● هل تقول إن أغنيتك الأخيرة (من غير ليه) قد أوقفت مد الهبوط وكسرت من شوكة موجة الأغانى التى تسمى شبابية ؟

ـ أرجو هذا !

● الموسيقار عبد الوهاب . . لاحظنا أن أغنية من غير ليه تبلغ مدتها حوالى اثنين وثلاثين دقيقة . . وهى بهذا تعتبر طويلة إلى حد ما . . فهل يعتبر هذا الطول وجهة نظر منك . . أو رداً على موجة الأغانى الحديثة القصيرة ؟

ـ والله إذا كان مقياس الأغنية الشبابية أن تكون سريعة وقصيرة . . فهل مثلاً (غنى لى شوى شوى) أو (توبة) أو (انسى الدنيا) أغان طويلة ؟! إنها أغان قصيرة وسريعة . . فلا يصح أن نربط الأغنية بهذا المقياس ، وإنما نقول إنها أغنية تعبر عن عصر . . حتى كل أغانى الأفلام تعتبر قصيرة . . وأنا فى تصورى أن ما يحدث أن هذا العصر الذى نعيشه عصر مرير . . متعب مرهق . . فى كل شىء . . من كثرة تعقيداته . . فى المواصلات . . السكن . . الكهرباء . . الروتين الوظيفى عصر متسارع الإيقاع أصبحت فيه الدنيا سريعة والحياة مرهقة من ناحية الرزق وصعوبته . . كل هذا أدى إلى صياغة عصر جديد كله سرعة وإرهاق . . وعصبية وعنف وخشونة . .

●●● فـن العصـر :

ـ هذا العصر جاء بفنه . . كما جاء بكل شىء . . وفنه هو الفن الذى يتناسب مع صفاته . . وهى العنف والسرعة والعصبية والقلق . . وهذه هى سمات موسيقى العصر . . وهذا مبرر ومعقول . . ولا شك أننى أحترم الكثيرين ممن قدموا هذا اللون من الفن . . وهم الذين على دراية طيبة بالموسيقى من هؤلاء الشباب . . وهم متعلمون ومثقفون . .

● مثل من يا افنـدم . . ؟

ـ والله لا أذكر أسماء . . لأن ذاكرتى بكل أسف ـ وبكل سرور ـ ذاكرة رديئة . .

● **أعتقد أن السرور أكثر من الأسف لديك ؟**

ـ نعم . . لأنى لا أحب أن أتذكر الماضى لكى لا أعيش فيه . . وأحب أن أعيش دائماً فى الحاضر والمستقبل . .

إذن هؤلاء الشباب منهم ناس كويسين . . وقد استغلوا بذكاء هذه التكنولوجيا الصوتية الجديدة . . وأغانيهم جيدة ونقية . . ولو يسر لهم الوقت لإنجاز أعمالهم ، والمادة لكى لا يلهثوا وراء رزقهم ، لأبدعوا أعمالاً أحسن ، لأن لهاثهم وراء لقمة العيش يجعلهم ينجزون أعمالاً عديدة متلاحقة من أجل الكسب والرزق ، مما يحرمهم من فرصة الإتقان والتجويد والبروفات التى كانت تكتمل فيها العائلة الموسيقية مع بعضها البعض .

●●● قفوا فى وجه الطوفان :

ـ ولكن من الملاحظ أيضاً انه فى فترات الانتقال بين العصور يحدث نوع من الغوغائية . . وتنمو الطفيليات إلى جانب العناصر الجيدة . . وذلك مثلما يأتى الطوفان فيحمل الحابل والنابل . . « أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ؟ نعم . . لذلك أقول إننا لا يجب أن نخشى من هذه الظاهرة . . فهى ظاهرة طبيعية . . ولكن ينبغى أن نقاومها . . فلا يجب أن نقف مكتوفى الأيدى أمام أى طوفان . . وذلك بالعمل والإنتاج والمعاونة ودراسة ما يمكن أن يوقف الطوفان أو يمنع أخطاره . .

●●● حذاء المطربة :

ـ فمثلاً اختفت المسارح التى كانت تقدم عليها الأغنيات الراقية . . وأصبح المنبران الوحيدان المتاحان الآن هما الراديو والتليفزيون . . ومعنى ذلك أنهما القادران على إصلاح هذا الوضع إلى حد كبير . . وخاصة الراديو لأنه وسيلة الاستماع المحببة . . لدرجة أن الإنسان إذا أحب أن يسمع أفضل فإنه يغمض عينيه . . لكى يركز . . والتليفزيون بحكم الألوان والملابس أيضاً . . لأن مظهر المغنية أصبح الآن جزءاً لا يتجزأ من فنها . . فأصبحت حتى «الجزمة» لها قيمة للمغنية الآن ! . . ويتكلمون الآن عن شعرها وفستانها وما إلى ذلك . . لأن هناك صورة مرئية . . وأحياناً استعراضات تسرق البصر . . ولا يجب تجاهل ذلك على الإطلاق أو الاكتفاء بالفرجة على ما يحدث . . بل لا بد من مواجهته بعمل ما . .

● **ولكن لو أذن لى الموسيقار عبد الوهاب . . نحن ضد التعميمات . . فلا شك أنه ليس كل ما نسمعه الآن هابطاً أو رديئاً . . بل هناك أغنيات راقية . . وهناك أغنية مصرية جديدة احتلت مساحة لا تخطئها الأذن المدققة فى الوجدان العربى . . ألست معى فى هذا ؟**

ـ لا شك . . وأنا قلت إن فيهم فنانين دارسون وموهوبون . . بشرط أن يتفرغوا للإبداع . . وألا يكونوا مقيدين بشريط كاسيت لا بد أن يستوعب خمس أو ست أغنيات تضطرهم أحياناً إلى سلق البيض . .

●●● الاجتهـــاد :

ـ ففى مجال الفن يوجد أيضاً اجتهاد . . وليس الاجتهاد فى استنباط الأحكام من الشريعة فقط . . ففى الفن اجتهاد . . ومثلما ذكرت لك أن هناك ألحاناً يغنيها أكثر من مغن . . فى هذه الحالة . . اللحن ينادى على الأصوات. . ويقول تعالوا غنوا . . كل مطرب يقول رأيه إيه بصوته وأدائه فى هذه الأغنية ! ولكن حينما تكون الأغنية شديدة القصر سريعة الإيقاع لن يكون هناك مجال لهذا الاجتهاد . . ! فالأصوات هنا لن تصبح لها نفس القيمة . . والأداء مش حيفرق كتير . . لأن العبرة هنا بالإيقاع الحلو والتوليفة . . واختراع الكلمة التى تعلق مع الناس مثل الهـزار. .

●●● سيد درويـش :

● لو أذن لى الموسيقار عبد الوهاب . . أن بعض مبدعى الأغنية الحديثة يقولون إن تميزها ليس فقط فى القصر وسرعة الإيقاع وإنما فى التزامهم « بفورم » أو شكل أو قالب للأغنية . . كما أنهم يعتبرون ما أخذته عليهم من انعدام الشخصية الأدائية فخراً ونجاحاً لأنهم يعتبرون أنهم يقدمون أغنية يستطيع أن يغنيها أى شخص وليس بالضرورة أن يكون مطرباً محترفاً . . بل أى مستمع . . وهذه ـ فى نظرهم ـ ديموقراطية فنية . . سبقهم إليها السيد درويش بأغانى الطوائف وشعبياته الشهيرة . . فما مناقشتك لهذه المقولة ؟

ـ أنا أختلف معك ومعهم . . فإذا كان كل شخص يستطيع أن يغنى

الأغنية . . فما هو دور المطرب المحترف ؟ وأين المواهب والعبقريات إذا تساوى جميع الناس ؟ ولماذا يظهر طه حسين أو أحمد شوقى أو أم كلثوم إذا كان أى شخص يمكن أن يحل محلهم ؟ ثم إن أغانى أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم القصيرة التى سقت أمثلة منها منذ قليل يستطيع أن يغنيها الناس بسهولة . . مثلاً أغنية (توبة) لعبد الحليم يمكن لأى شخص أن يغنيها . . هذه ليست مشكلة . . . . أما ارتداؤهم لقميص سيد درويش فهذه حجة باطلة . . ودعنى أكشف لك هذا السر التاريخى . . إن أغانى سيد درويش التى تحسب له ليست أغانى السقايين والعربجية والتحفجية والحشاشين . . فقد اضطر لهذه الأغنيات اضطراراً ، لأن عصره ـ بعد الحرب العالمية الأولى ـ كان عصراً استعراضياً بحتاً . . فكانت المسارح الاستعراضية تقدم الاستعراضات والفتيات الراقصات الجميلات . . أساساً ـ مثل كشكش بيه وعلى الكسار وما إلى ذلك . . فتقدم هذه المسارح بين فصول هذه الروايات ـ لكى لا يمل المتفرجون ـ هذه النوعية من أغانى الطوائف وما إليها . . وليس هذا هو السيد درويش . . السيد درويش هو أدواره . . ورواياته . . والفكرة التى بذرها وزرعها فى أنه يجب أن يكون هناك نبرة جديدة فى اللحن ـ وليس فى الصوت ـ فلا ينبغى أن يتمسكوا بالسيد درويش فى أقل أعماله . . لا . . إن له سبعة أو ثمانية أدوار تعتبر شيئاً نادراً بالفعل . . مثلاً أنا هويت وانتهيت . . وضيعت مستقبل حياتى . . وأنا عشقت . . ويالالى قوامك يعجبنى . . إلخ . . هذه الأعمال كنا ندرسها . . وهى التى بقيت له حتى الآن وستبقى . .

●●● وظيفة الأغنية فى هذا العصر :

● هل تغيرت وظيفة الأغنية فى هذا العصر ؟ وإلى أين ستقودنا هذه الموجة من الغناء الحديث ؟

ـ والله سأعيد عليك مقولة للأستاذ عباس العقاد . . يقول إنه أحياناً تأتى فترات من الزمن على البلاد ، تنتشر فيها ظواهر معينة يمارسها الجميع بلا استثناء . . وهذه الظواهر ـ لو اختفت ـ لما تذكرها أحد ولا تصور أحد انها كانت تملكنا إلى هذا الحد . . ! إنه يشير إلى الفارق الشاسع بين الرواسخ وبين الزائلات فى الحياة . . هناك أشياء باقية وأشياء زائلة . . إذا بقى شىء فأهلاً به . . أما إذا زال فلا تسأل عنه . . لذلك أنا أُوكِلُ أمر هذه الظاهرة إلى الزمن وذوق الجماهير وتصفية الزمان . . بحيث لا يبقى إلا الجيد والراقى ويذهب الزبد . .

●●● الملحن العبقرى ! :

ـ أين عصر التجويد والإتقان ؟ كانت أم كلثوم تقدم فى كل عام لكل ملحن أغنية جديدة . . معنى ذلك أن هذا الملحن لا يشغل نفسه طوال العام إلا بهذا اللحن الواحد . . فيقتله تجويداً وإتقاناً وإحساناً . . أما الآن فإن كل ما حول ملحن العصر يقول له اعمل . . أسرع . . اشتغل . . بيته . . أولاده . . عصبيته . . لقمة العيش . . مطالب الحياة . . المنتج . . المطرب . . إلخ فيضطر إلى قبول أربعة أو خمسة وأحياناً عشرة أعمال فى وقت واحد . . أغنية وطنية وبجانبها أغنية عاطفية . . وبجانبها

أغنيـة مدرسية . . ثم أغنية دينية . . إلى آخره . . فهـل هـذا معقـول؟!

●●● التكنولوجيا الصوتية :

● كنت يا أستاذ عبد الوهاب من غلاة المتحاملين على استخدام نظام (التراكات) فى تسجيل الأغانى . . وفوجئنا بك تلجأ إليه فى أغانيك الأخيرة مثل (من غير ليه) فكيف هذا ؟

ـ أنا لم أرفض التكنولوجيا الصوتية الحديثة . . ولكننى رفضت إساءة استخدامها . . وقد استخدمتها فى بعض ألحانى الأخيرة . . ولكننى ضد إساءة استخدامها بشراسة . . فأنا لا أفهم أن تكون مقطوعة فيها سبعة أو ثمانية عازفين أو أنواع عزف . . مثلاً آلات وترية كالكمنجات والشيلّوهات والباص . . وآلات إيقاع مثل الرق والبونجز إلى جانب جيتار وأورج وما إلى ذلك . . لا أفهم كيف ـ بدون داع ـ يقول كل عازف لوحده ويمضى ثم يأتى الذى بعده ليسجل وهو لا يعرف ماذا سجل قبله وما سيسجل بعده ؟! إن هذا الأمر يقتل الإبداع الفردى ويفكك العائلة الموسيقية . لذلك حينما استخدمت أنا نظام التراكات استخدمته فى المواضع التى لا تحرمنى من حريتى كفنان يقول ما يريد أن يقوله . . لذلك لم أكن أسأل عن المكتوب فى النوتة الموسيقية بقدر اهتمامى بما كنت أريد أن أقوله وإن وجد اختلاف يسير لا يصل إلى حد النشاز ! . . لذلك تجد حرية فى أداء بعض المقاطع وموالاً حراً لا يمكن أن يخضع للتراكات والقنوات الصوتية المحكمة !